

المشغلون بالعربية من الإسبانين بالنظر لانفرادهم وقلة معرفة الحكومة لهم وجهل الأمة قيمة ما يشغلون به لما كان للعربية في إسبانيا ذاك المقام المحمود فقد رأينا الحكومة تشدد في توصيد تدريس العربية في الكليات إذا خلت من مدرسيها فتقتصد بذلك رواتب المدرسين أو تعهد بالتدريس إلى أناس غير متمكين منها حتى يتمكن كما فعلت في سالامنكة وبرشلونة ووسدت التعليم فيهما إلى مدرس اللغة العبرية. والمعلوم أن العلم كلما ارتقى احتاج إلى أناس متحجرين وأخصائين. والأخصاء في فن يفتح لصاحبه السبيل فيذل جهده في نقطة واحدة وبذلك يبرع ويبرز.

### حالة المسلمين الاجتماعية

أيها السادة

إن من يلقي نظرة التاريخ الإسلامي ويرى ما كان عليه المسلمون في القرون الأولى من عزة الجانب وقوة السلطان وحرية الأفكار واتحاد الكلمة وما هم عليه اليوم من وهن العقيدة وضعف العزيمة وانحلال الرابطة قد نالت منهم الأهواء وفك فيهم داء الشقاء تذبذب نفسه حسرة وأسى ويتشوق إلى الوقوف على ما أصاب المسلمين فيدل من حالهم ونزل بهم م مستوى العظمة إلى حضيض الضعة والمهانة وهم اليوم أعز من سلفهم نفراً وأكثر مالا وأرقى عيشاً وهذا كتاب الله وسنة رسوله وهما الأساس المتين الذي قامت عليه قوة الإسلام ومنهما قد انبثق نوره وأضاءت محجته يتليان بين ظهرانيهم بكرة وعشياً. وهند معاهدتهم العلمية تخرج في كل عام من رجال الدين وحملة الشريعة وأرباب الأقلام ما يربو عدده أضعافاً مضاعفة على ما تخرجه قرون كثيرة في أول الإسلام.

ليت شعري كيف لا يذهل قارئ التاريخ مما وصلت إليه حالة المسلمين وهو يرى أن الإسلام قد ظهر بتعاليمه السامية ومبادئه العالية فأشرق نورها على أفئدة قوم لم يسبق

لهم عهد بالمدينة ولم يعرفوا بين الأمم إلا بجفاء التربية وعبادة الأوثان وشن الغارات  
وشظف العيش وخشونة الطباغ اللهم إلا بعض أخلاق كريمة كالكرم والوفاء ونحوهما  
مما لا يعد ركناً وكيناً تستند عليه الأمم في فحشتها فيما لبث أن حرر الأفكار من عقابها  
وبعث الهنم من مرافدها وأنشأ منهم نشأً جديداً فلم تكن عشية أو ضحاها حتى  
تجلت عروس تلك المدينة العربية في ثوبها القشيب جامعة بين قوة السلطان وصوله  
العلم بين التسامح والشدّة فعمروا الأرض وأحيا فيها موات الفضيلة وبلغوا شأواً  
عظيماً من رقة الشعور وصفاء العقل فكسبهم ذلك من التلطف بالأمم حتى وقفوا على  
خفيات أخلاقها وعاداتها وكشفوا ما كان مستوراً عهداً واستخرجوا من كنوز  
معارفها ودقائق حكمتها ما ظهر فضله على الأوربيين بعد عدة قرون من البعثة النبوية.  
نعم لم يمض جيل حتى أخذت دولة العلم تعانق دولة الإسلام في جزيرة العرب وما  
فتح المسلمون من الأمصار فنبغ فيهم الحكيم والطبيب والفيلسوف والمهندس  
والمخترع والفقير واخترت والسياسي الخنك والأصولي البارخ والإمام العادل فأخذ  
هؤلاء يجوبون الآفاق يقودون طلائع تينك الدولتين أينما حلوا حل معهم ما استفادوا  
من صنائع الفرس والآريين وعلوم المصريين والرومانيين بعد أن هذبوه وغسلوا عنه ما  
تراكم عليه من الأوضار بأيدي الرؤساء في الأمم حتى غدا بفضلهم أبلغ ناصعاً مختل  
في حلة عربية تدهش الناظرين وترزي بكل شيء في العالمين.

وان دينا هذا شأنه في ترقية الشعوب وتهديب النفوس لجدير بأن لا يقف بأمله تيار  
الرقمي والتيكلمنا تواليت الأيام وحرصوا على التمسك بعبادته وهجوا منهجه القويم.  
فما هو هذا الداء العضال الذي مني به المسلمون فتقاعسوا عن اللحاق بأسلافهم  
وتقطعت بهم السبل وبرح بهم داء الفشل.

ارجع البصر معي أيها السامع الكريم وانظر إلى ما وصلت إليه حال المسلمين. إنك لا تجد إقليمين متجاورين أو ناحيتين في إقليم أو قريتين في ناحية أو بيتين في قرية وأهل أحدهما مسلمون والآخر غير مسلمين ألا وتجد المسلمين أقل من جيرانهم نشاطاً وانتظاماً في جميع شؤونهم الحيوية والعمومية وأقل من نظرائهم في كل فن وصناعة وأعظم إهمالاً وأكثر همولاً وأكبر شقاقاً وأحقر نفوساً وأتعس حالاً حتى ترهم كثير من حكماء الأمم الحية لينصفوا التاريخ أن الإسلام والنظام ضدان لا يجتمعان وعدوان لا يتلفان.

أيها السادة

إن علينا واجباً كبيراً وفرضاً محتملاً أمام الله ورسوله والناس أمام الشرف والتاريخ لا نخرج من عهدته ولا نبرأ من تبعته إلا إذا وجهنا جل عنايتنا و صرفنا أوقاتنا وقلنا شبة يراعنا بحناً وتقياً حتى نصل إلى تشخيص هذا الدواء ومعرفة جرائمه وأعراضه وما يستأصلها من الدواء الناجع وهذا أفضل جهاد نثاب عليه من الله والتاريخ ولنعم الجهاد هذا الجهاد لذلك رغبت في أن يكون هذا البحث الجليل موضوع محاضرتي اليوم طرقة مستعينة بالله وربنا أوتيته من العلم فأقول:

اختلف الباحثون من العلماء في منشا هذا الفتر فذكروا أسباباً كثيرة كلها فروع ترجع إلى أصل واحد ألا وهو الانحراف عن جادة الكتاب والسنة وتلمس الهدى من غيرهما فحقت علينا كلمة القرآن إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء. إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. ومن اعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى. وقد ذكرنا في المقدمة ما كان عليه العرب قبل الإسلام من الأعراث في البداوة لم يتلفوا بشيء من التحليم والترف

ولم يشموا رائحة العلم والصناعة فما كادوا يفضون عنهم غبار الوثنية حتى ظهر من أمرهم ما قصناه عليك. وذلك أن الدين الإسلامي كما أنه يدعو الناس إلى توحيد الله والإيمان بما بعد الموت من عالم الغيب يدعوهم أيضاً إلى الإيمان بعالم الشهادة والسير على سنن الكون قد أطلق لهم عنان الحرية وطالبهم بالتفكير فيما خلق الله من عالم السماوات والأرض قد وضع لهم قانوناً جامعاً لضروب الهداية متكفلاً لهم أن هم اتعود ونصروا بإصلاح شؤونهم في هذه الحياة الدنيا قد أحكمت أصوله على قاعدة جلب اندفاع ودرء المفاسد والإرشاد إلى أنه الدين القيم الفطري الملائم لإصلاح النفوس بالأخلاق الفاضلة وإصلاح شؤون البشر الاجتماعية بإقامة العدل واتباع الطريقة المثلى في كل شيء. سة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله.

فهم السلف الصالح هذا الأصل من القرآن فاهتدوا بهديه ولم يحيدوا عنه قيد شبر عالين (إن من أقام هذه الأركان كلها كان هو المسلم الكامل ومن هدمها كلها كان ملحداً في دينه ومن كان أقرب إليها كان حظّه من السعادة بمقدار سهمه منها) وأن ليس بعد القرآن والسنة إلا الضلال والعسى كما قال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً.

تفرع أيها السادة عن هذا الأصل الوبيل أمراض هشتت من عظمة الإسلام وشوهت من محاسنه فأول جرثومة سرت منه إلى المسلمين رجحان كفة السياسة الكاذبة على كفة الدين الصحيح لحاجة في نفس بعض الأمراء المستبدين كانت الحكومة الإسلامية في أحكامها نياية اشتراكية (ديموقراطية) كما نطق بذلك القرآن الكريم وأرشدت إليه السنة وظلت كذلك زمن الخلفاء الراشدين إلى أن وقع النزاع بين علي ومعاوية فاتخذ بنو أمية ذلك ذريعة تحول مجراها وقيد معالمها وجعلها ملكاً عضواً يملكه فرد يستبد به كيف شاء فبدأ يتطرق إلى الأمة داء الذل ووجد الضعف منفذاً إلى قلوبهم ووجد

الأبرياء من بعدهم مع توالي الأيام مجالاً فسيحاً من صدور أولئك الذين نصبوا أنفسهم قادة للدين وسموا أنفسهم حماة الشريعة فوضعوا لذلك أصولهم في التشيع والاختلافات في أصول الدين وفروعه فانشغل بها الناس وصدقوا عن الكتاب والسنة وولوا وجوههم شطر البدعة وذهبوا شيعاً متباينة مذهباً متباعدة سياسة ومشرباً كل طائفة تجادل عن نفسها وتدعو إلى كتابها ولو أدى ذلك إلى تكفير الأخرى فخرج الدين عن حضارة أهله وتحول عن بساطته واتسع الخرق وانحلت الرابطة الإسلامية بل والقومية وفشت المنكرات وانطمست معالم السنن وتحكم التقليد لأنه أثر من آثار التشيع بل ركن من أركانه.

### التقليد

التقليد وما أدراك ما التقليد التقليد هو قيد الأحرار وسجن العقول وهادم الأفكار وعدو الشرائع ومبيد الأمم وجيش الاستعباد.

كان الإسلام ملة سمحاء ليها كنهارها واضحة المسالك معروفة الواجبات سهلة المآخذ بطقها الأعرابي الجافي من فم الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يرح من مجلسه إلا وقد خالطته بشاشة الإسلام وأشرب في قلبه التوحيد كما قال تعالى: ما جعل عليكم في الدين من حرج شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه.

عجباً كيف يرضى المسلم العاقل أن يغفل أعز شيءٍ وهبه الله وهو العقل بغفل التقليد والاستسلام ويلقي بنفسه في برائن الجحود والله قد أمره بأن يكون على بصيرة في دينه فقال تعالى: قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني إنما ضل من الخلد إلى التقليد بعد أن تبين له الحق كمثل رجل أراد أن يسلك طريقاً مستقيماً واضح